Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار الرابع - العدد االحادي عشر || تاريخ الإصدار 2026-02-20

توظيف الموروث الحضاري كخطاب دلالي في المنجز الخزفي (العراق انموذجاً)

The Possibility of Showcasing Cultural Heritage in Ceramic Works (Iraq as A Model)

نجوان سليم لطيف – د. زينب كاظم صالح البياتي

Najwan saleem latef – Dr.Zainab Kadhim Al.Bayati

جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة / العراق

DOI: https://doi.org/10.64355/agjhss41112

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي(CC BY-NC-SA)

الملخص:
يشغل الخطاب مساراً في تحديد دلالات مفاهيمية تكسب العمل خصوصية ويسهم في تسويق المنجز الحضاري في كل بلدان العالم المترامي الاطراف، وهو مايحول المنجز من مادة تاريخية الى مادة مستوعبة لقراءة تاريخ اي بلد، ويصنع خطاب يمكن ان يكون بمتناول المتلقي الذي تثيره التساؤولات حول مايحتويه اي منجز فني من مضامين، بل ويكون تسويقاً مهماً لحضارة وموروث للبلدان والشعوب، كما وان هذا التحول من مفهوم الخطاب يمكننا من خلاله رصد المتحولات الفكرية المطروحة بدلالاتها المتعددة من خلال العمل الفني الخزفي المعاصر. وهنا تناولت الباحثة في بحثها الحالي دراسة امكانية توظيف الموروث واهميته في ابراز الموروث الثقافي الحضاري في المنجز الخزفي (العراق انموذجاً) إذ تم تحديد مشكلة البحث بالسؤال الاتي: الكشف عن ((امكانية توظيف عن الموروث الحضاري في المنجز الخزفي(العراق انموذجاً))؟. وقد احتوى الإطار ألنظري للبحث على ثلاث مباحث، تضمن المبحث الاول (مفهوم الخطاب كاعلان دلالي وآلية التسويق) والمبحث الثاني (الموروث الحضاري وآليات الاشتغال في الفنون) والمبحث الثالث (الخزف العراقي المعاصر بين المرجع والتأسيس) وقد تناول الفصل الثالث الأطار الأجرائي للبحث مجتمع البحث وأختيار نموذج العينة وبشكل قصدي تمثل النتاج الخزفي العراقي المعاصر كعينة للبحث تم تحليلها على وفق المنهج الوصفي التحليلي. وقد احتوى الفصل الرابع على أهم النتائج التي توصلت اليها الباحثة:

1. الدلالة التعبيرية تحمل السحر والتألق والبراعة والابداع الأمر الذي يجعل استثمارها منطلقاً في كل عمل إبداعي مسألة في غاية الأهمية وبذلك يمكن الاعلان عن الموروث الحضاري.

2. يمكن ان يساهم التوظيف الدلالي من خلال الاعلان عن تسويق قدرة الفنان العراقي على معاصرة التشكيل الفني وصياغاته الجديدة في عالم الفن.

فضلاً عن الاستنتاجات ومنها:

1. اعتمد الخزافين العراقيين المعاصرين على الارث الحضاري عموما كأداة لأيصال الفكرة المركبة واعتبارها وسيلة للتعبير عن الافكار الفنية المعاصرة لارسالها كثيمة الى المتلقي.

2. اعتمد المنجز الخزفي العراقي على خصوصية مجموعة كبيرة من المواضيع التي تشكل الارث الحضاري ووسمت اغلب الاعمال بخاصية تراثية ترتبط بالتاريخ وبالحدث مما حقق فكرة الصدق الفني للمنجز.

وختم بالمصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الامكانية، الإعلان، الموروث الحضاري، المنجز الخزفي.

Abstract:

Advertising is an important and primary method in marketing the cultural achievement in all the far-flung countries of the world. It transforms the achievement from a historical material into a material that can be used to read the history of any country and creates a discourse that can be in the range of the recipient who is aroused by questions about the contents of any artistic achievement. It is also an important marketing of the culture and heritage of countries and peoples. This transformation enables us to monitor the intellectual transformations presented through contemporary ceramic artwork. In this study، the researcher explored the possibility and importance of advertising in highlighting the cultural heritage in ceramic works (Iraq as a model). The research problem was defined by the following question: "Is it possible to advertise the cultural heritage in ceramic works (Iraq as a model)?" The theoretical framework of the research، which focused on this study، comprised three sections: the first section (The Concept of Advertising and Marketing Mechanisms)، the second section (Cultural Heritage in the Arts)، and the third section (Modern and Contemporary International Ceramics). Chapter Three addressed the procedural framework of the research، including the research population and the selection of a

sample. Contemporary Iraqi ceramic works were intentionally chosen as the research sample and analyzed using a descriptive-analytical approach. Chapter Four presented the most important findings of the researcher:

1. Expressive symbolism embodies charm، brilliance، skill، and creativity، making its use as a starting point in every creative work a matter of utmost importance، thus enabling the advertising of cultural heritage.
2. Advertising can contribute to marketing the capabilities of Iraqi artists. On the contemporary nature of artistic formation and its new formulations in the art world.

In addition to the conclusions، including:

1. Contemporary Iraqi ceramic artists have relied on cultural heritage in general as a tool to convey complex ideas and consider it a means of expressing contemporary artistic concepts، sending them as themes to the viewer.
2. Iraqi ceramic production has relied on the distinctiveness of a large group of themes that constitute cultural heritage، and most works are characterized by a heritage quality linked to history and events، thus achieving the idea of artistic authenticity in the production.

The list of sources and references.

Keywords: Possibility، Announcement، Cultural Heritage، Ceramic Production.

الفصل الأول (الإطار المنهجي)

مشكلة البحث: يشكل الاعلان عامل اساسي ورئيس في اضهار الموروث الحضاري لما له اهمية ودور في الوصول الى المتلقي بصورة فنية مبدعة هدفها الرئيس هو التسويق، وهذا ما تتخذه جميع انواع النشاطات التجارية والاقتصادية والفنية في الترويج للوصول الى المتلقي فتتخذ من الاعلان وسيلة لها، فبرز الفن اذ يظهر غالباً في الاثار والرموز الحضارية والاشكال الاسطورية التي تتوارثها الشعوب ليشكل دلالة رمزية وأشارية تتجسد وتتضح في فنون تلك الشعوب من رسوم ونحت وخزف وعمارة وغيرها، والمنجز الخزفي كاحد اهم الفنون في بلورة الموروث الحضاري واستيعابه عبر النتاجات الخزفية إذ يقرأ أحياناً على أنه سجل ّلما حدث في الماضي من خلال ما تتخذه النتاجات الخزفية من اشكال ورسومات التي تنطوي على مجموعة كبيرة من الرموز التاريخية والحضارية والاثرية الماضية والمعاصرة، ولما تمتلك من القوة التي يمكن لها أن تؤثر في الفكر لدى المتلقي. ولعلها كانت من المحاولات الاولى في تاريخ الفكر الأنساني لطرح التساؤلات الأساسية كطريق للمعرفة وباب من أبواب الاكتشاف.

حيث كان للنحت والخزف حصة كبيرة مما تقدم اذ ارتبطا بالحياة اليومية قديماً وحديثاً، وما يعزز ذلك دور النتاجات الخزفية كمؤشر تاريخي ووثائقي للحوادث والحقب التاريخية لا سيما في توثيق تاريخية الحضارات، إذ شهد الخزف تحولات لاسلوبية الفنانين عبر الحقب المتعاقبة وكذلك تنوع التقنية مابين محاكاة الحدث التاريخي القديم والتأثر بالحركات الفكرية الحديثة كالحداثة وما بعدها فضلا عن أبراز الجانب الجمالي ليشكل حضوراً دائماً ومهماً في الأوساط الثقافية والفكرية عامة، إذ ظل المنجز الخزفي ملتصقاً بمرجعياته الفكرية والثقافية والانسانية لما تحمله الرموز من ميثيولوجيا مؤثرة وواضحة ضاغطة على النتاجات الابداعية للخزف، ويمكن تحديد مشكلة البحث الحالي في التساؤل الاتي وهو الكشف عن ((امكانية الاعلان عن الموروث الحضاري في المنجز الخزفي(العراق انموذجاً))؟.

أهمية البحث: لعل الدراسات التاريخية المتخصصة في الجوانب المنجز الخزفي من الدراسات المهمة التي تفيد في توضيح مدى التفاعل الحاصل بين الفكر الميثولوجي للارث الحضاري وما يمت له بصلة من اثار وشواخص وتراث وحكايا شعبية ومايتضمنه من رموز وافكار وبين النتاجات الفنية التي تحاكي مستقبلات النتاج الثقافي والفني المعاصر التي تشكل دلالات رمزية وأشارية تمثل الرؤية الفكرية في الأوساط الفنية والفكرية بوجه العموم وهو ما يريد ان يبرزه المنجز الخزفي العراقي المعاصر لتاريخ العراق وحاضره لذا تكمن أهمية البحث من خلال قدرة المنجز الخزفي في التعبير عن الموروث الحضاري وماهي امكانية الاعلان في تسويقه.

هدفا البحث: كما يهدف البحث الى:

1. الكشف عن النواحي الابداعية والابتكارية في المنجز الخزفي المعاصر.
2. التعرف على امكانية توظيف الموروث ودلالاته كأعلان تسويقي في المنجز الخزفي.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: امكانية توظيف الموروث كأعلان وخطاب في المنجز الخزفي (العراق انموذجاً).

الحدود المكانية: الخزف المعاصر في العراق.

الحدود الزمانية: 1975-2023

تحديد المصطلحات:

الموروث في اللغة: "ورث: توريثا اي بمعنى: أدخله في ماله على ورثته، وورث: الشيء عن أبيه. اي بمعنى ورث أباهالموروث في اللغة من ورث: فلان فلانا: اي بمعنى توريثا: ويقال ايضاً: أدخله في ماله على ورثته" (الرازي، 1979، ص716).

الموروث اصطالحاً: "لقد عرف الموروث على انه "ما تراكم خلال الازمنة من تقاليد وعادات وتجارب وخبرات وفنون وعلوم في شعب من الشعوب، وهي جزء أساسي من قوامه الاجتماعي والانساني والسياسي والتاريخي والخلقي" (مكي، 1990، ص10).

الموروث: التعريف الاجرائي: من خلال اطلاع الباحثة على اغلب الاراء حول تعريف الموروث فانها وجدت ان تعرف الموروث اجرائياً: انه يحمل صفة البقاء والديمومة لما يشكله من استمرارية للعطاء ويسجل النشاط الانساني في السابق ويتخذ من الحاضر روحه في حالة من الدفق ليربط الماضي بالحاضر بعملية مميزة.

الحضارة في اللغة: حيث "انها للحاضر وان الحاضرة ضد البادية، وهي المدن والقرى كما تطلق للحاضر ذي الإقامة" (الرازي، 1979، ص141).

الحضارة اصطالحاً: فالحضارة هي "النشاط الخالق فيما يخص التنظيم المحلي ضمن الاشياء الاخرى والحضارة تنزع إلى اقناع نفسها بأن جميع القيم تتسم بأهمية كبيرة لنفسها ويجب أن تكون مقبولة بشكل عام بوصفها خيرة القيم وتعد عاملا لدعم الثقافة، كما تتطلب خدمة مباشرة من الفن والعلم على حد سواء أساسيا انعاكسية فطرية أو غرائزية" (ويلنسكي، 1982، ص202).

الحضارة: التعريف الاجرائي: من خلال اطلاع الباحثة على اغلب الاراء حول تعريف الحضارة فانها وجدت ان تعرف الحضاري اجرائياً: فالحضارة هي تجسيد للانجازات الانسانية ذات المنجز الابداعي المتميز.

الموروث الحضاري: تعريف اجرائي: من خلال اطلاع الباحثة على اغلب الاراء حول الموروث وكذلك حول تعريف الحضارة وجدت الباحثة تعريفاً اجرائياً: للموروث الحضاري: هو ذلك النشاط الانساني الذي يحمل قيماً وصفات إبداعية لما يتعلق من حصيلة كاملة من النتاج الفكري نمت وتطورت عبر الزمن لتكون الهوية ذات الخصوصية المميزة للمجتمع وتعبر عنه عبر الفنون والادب والصناعة والحرف.

الفصل الثاني (الإطار النظري)

المبحث الاول: الخطاب كأعلان دلالي وآالية التسويق

مفهوم الإعلان: الإعلان هو وسيلة ترويجية تهدف إلى إبلاغ الجمهور عن منتجات أو خدمات معينة، وزيادة الوعي بها وتحفيز الطلب عليها. لذا يتخذ الإعلان أساليب واشكال متعددة مثل الإعلانات المطبوعة، المرئية، والمسموعة، وكذلك الحملات الرقمية على وسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الإلكترونية التي تتيح فضاء واسع للتعريف. اذ يعتمد الإعلان بشكل مهم وكبير على إقناع المستهلك بأن المنتج أو الخدمة المقدمة ذات قيمة تلبي احتياجاته. وان أهم عنصر في أي نوع الإعلاني هو العنوان، إذ يجب جذب المستهلك اليك في بضع ثوانٍ فقط لجذب انتباهه، ويجب أن يلفت العنوان الانتباه على الفور، ويتفهم الاحتياجات، وينقل إليهم رسالةً واضحة بأنهم الجمهور المستهدف لهذا المنتج. لذلك فهو العامل الحاسم في جذب انتباه والإقناع والاعلان فن يعتمد بصوره على الخفاء في انتاج اهدافه. فان فن الاعلان هو "مزيج متداخل مما هو جزئي ظاهر للعين بادٍ للحواس، وما هو مختبئ وخفي مستعصي على الحواس" (محمود، ب.ت، ص205).

اذ يقوم صانع الاعلان الفنان باظهاره الى الواقع المرئي بأشكاله التي تستند الى عوامل ومقومات وجدانية تسهم في انبهار المستهدف عن طريق قيامه بتكثيف انفعالاته الوجدانية وتركيزها في ايجاد شكل ملائم لتسويق اعلانه. وهنا تجب الاشارة الى ان الإعلان هو أي وسيلة يتم التواصل بها مع أي شخص بهدف إقناعه بأمر معين، لكي يتخذ المستهلك القرار الذي يريده ويستهدفه صانع الإعلان ليحقق اهدافه المالية. فالإعلان نفسه قد يحتوي على مرة أو أكثر من مرات التواصل، اذ يتعاون الإعلان والتسويق بصورة وثيقة. حيث يساعد الإعلان في تعزيز العلامة التجارية وزيادة الوعي، بينما يسعى التسويق إلى بناء علاقات طويلة الأمد مع العملاء وتحقيق النمو المستدام. كذلك يعتبر الإعلان هو أحد استراتيجيات

التسويق التي يمكن لها ان تصل الى المستهلك، والتي تعتمد على محاولة استهداف المستهلك، وذلك عن طريق التواصل مع تلك الفئة برسائل ذات ثيمة معبرة ومحددة تؤثر على سلوكهم من أجل إقناعهم باتخاذ قرار معين يصب في مصلحة المنتج.

العلاقة الجدلية والمفاهيمية للاعلان ودلالته التسويقية للعمل الفني.

اذ ان الفرق بين الاعلان والتسويق لودققنا في معنى الكلمتين لوجدنا ان مفهوم الإعلان وتعريف التسويق يرتبطان بعلاقة الجزء بالكل وباهداف محددة اذ سنجد أن الإعلان هو أحد الوسائل التي يتم بها وضع المنتج أو الخدمة وتقديمها الى المستهلك المستهدف. وقد عرفنا مصطلح الإعلان، فان الفارق بينهما إذن ان الإعلان هو جزء من عملية التسويق، وهو كذلك الوسيلة التي يتم عن طريقها الترويج للمنتجات "الذي يعتمد على استخدام المضمون الحضاري باسلوب فني وفيه تذوب كل الانماط والطرز حال تدوينها ذاتيا وهو ما يعطي العمل الجانب التركيبي الذاتي" (ال سعيد، 1988، ص92).

وهنا تجب الاشارة الى ان التسويق عملية لها مراحل محددة، بداية من دراسة السوق وتحليل المستهلكين واحتياجاتهم ومشكلاتهم وأفضل الطرق للتواصل معهم، وصولاً إلى مرحلة خدمة ما بعد البيع. اذ ان الإعلان هو مجرد وسيلة، اي بمعنى انه جزء من مرحة التواصل مع المستهلكين المستهدفين، اذ يتم تصميم الإعلانات بناءاً على المعلومات التي يتم جمعها في أولى مراحل التسويق.لذا يجب معرفة بلية التسويق ومفهومها.

آلية التسويق:

لفهم آلية التسويق يجب تحديد مفهوم التسويق الذي يعد عملية إدارة الأنشطة التي تهدف إلى التواصل مع السوق المستهدف وتلبية احتياجات المستهلكين. ويجب قبل البدأ باي عملية تسويقية جديدة الانتباه الى التقييم والتحليل التي تتيح قياس نتائج وتحليل البيانات لتحديد الأداء وإجراء التعديلات اللازمة لتطوير عملية التسويق بشكل امثل بعد تنفيذ اي حملة تسويقية سابقة. أن التسويق هو مجموعة من التقنيات المستعملة لتلبية حاجات ورغبات المستهلكين، وترى الباحثة ان الاعلان والية التسويق تشترك بمهام وهي الاعلان والتسويق التعليمي والاعلان والتسويق الارشادي او الاخباري وكذلك الاعلان والتسويق التذكيري والاعلامي والتنافسي وهو ماينتج روح التنافس لدى فناني صناعة الاعلان والتسويق وقد يكون هناك اعلان لايعتمد بصبغته على المردود المالية بقدر ما يكون هو لتوجيه النظر وتسليط الضوء وكذلك التعريف فقد يحتوي منتج فني ما على اشارة او رمز او موروث حضاري يمكن ان يعلن عنه ويعرف به فهنا يكون دور الاعلان دور تعريفي ثقافي (ال سعيد، 1988، ص104).

المبحث الثاني: الموروث الحضاري وآليات الاشتغال في الفنون

إن مفهوم الموروث الحضاري مفهوم شامل، اذ يعتبر ان كل ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات والتقاليد وأسلوب العيش والازياء والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية ومقدرة الإنسان في كل حضارة زمانياً وجغرافياً على خلق وتكوين مورث حضاري جديد هو اضافة جديدة بمعنى موروث حضاري. وكذلك ما يسهم في الإبداع بالفنون والآداب والعلوم وله نصيب من مورثها الحضاري وهذا ينطبق على كل حضارة لها نصيب في الثقافة العالمية بما ابدعته من كنوز حضارية مادية وفكرية تُعَدّ ملكاً عاماً للأجيال البشرية على امتداد الزمن، وهو اشبه بجذور الشجرة، فكلما تفرعت وغاصت الجذور تصبح الشجرة أثبت وأقدر على مواجهة تقلبات الزمان والموروث الحضاري يلقي الضوء على زوايا تأريخية وجغرافية واجتماعية ونفسية. والموروث هو كل ما هو منقول ومتوارث متواتر واكتسب الفظ بعد ذلك معناه الاصطلاحي على الاستعارة والتشبيه حتى أصبح يطلق في الغالب على كل عناصر الثقافة التي تتناقل من جيل إلى آخر" (عبد الله، ب.ت، ص75).

لذا يعد الموروث لأي بلد تعبيرا جلياً عن هويته الوطنية والإنسانية في مراحل زمنية وحقب تاريخية مختلفة، وهو يشمل الموروث المادي وغير المادي. اذ ان مجموع نتاج الحضارات السابقة التي يتم وراثتها هي نتاج تجارب انسانية كانت نابعة من رغباته وأحاسيسه سواء أكانت في مجالات العلم ام الفكر أم اللغة أم الأدب ليمتد لجميع النواحي المادية والوجدانية للمجتمع من فلسفة ودين وفن وعمران وتراث فلكلوري واقتصادي أيضاً. لذا تولد مفهوم الاهتمام بالموروث كجزء اساس في دعم الحاضر وصناعة المستقبل وإن عدم الإهتمام بالموروث لاي بلد يؤدي الى حدوث قطع مع ذاكرته، فاذا ضاع الموروث اصبح البلد كأنّ لاذاكرة له. وبذلك يتطلب نقل هذا الموروث والحفاظ عليه وإحيائه وحمايته والاستفادة منه جيلاً بعد جيل، وإلاّ عدّ الماضي او ما نظنه انه من ضمن الموروث الذي ينتمي اليه فاقداً للمصداقية لولا التوثيق وهنا تجب الاشارة الى ان الاهتمام بالموروث يعد من اهم اسس بناء حضارة وذلك كون ان تزيف اي تاريخ او احداث نتحدث عنها غير موثوق من وجودها سوف يضعنا في محط شك من تاريخنا كله، وعليه ليس كل ماض او قديم يصلح لنطلق عليه موروثا بقدر ما يجب ان نوثق ما له اهمية مباشرة لخط حياتنا وتجاربنا. فإنّ التواصل المطلوب من حاضرنا مع ماضينا مهم جداً ويجب الالتفات اليه كونه مصدر اسس في بناء مستقبلنا، ويجب ان ندعوا لإحيائه والسير به نحو المستقبل وبما يجعل مصطلح الموروث ينطبق عليه التراث هو الماضي يحاور الحاضر عن المستقبل. لذا فإن هناك العديد من الوسائل والسبل العلمية الأكاديمية والعملية الفنية التي يمكن من خلال حفظ وتوثيق بل وامكانية الاعلان عن الموروث الحضاري يممكن تطبيقها والعمل بها لتدعيم وتعزيز لغرض الوصول إلى الهدف المرجو منها وهو حماية الموروث الحضاري لاي بلد والتعريف به من خلال المحافل والمهرجانات والمؤتمرات

بل لابعد من ذلك فالتجارة والصناعة اصبحت اليوم لها الامكانية والسيد الطولى في التعريف بهوية اي بلد وعن ماضيه من خلال مزاوجة الاعمال والحرف والصناعات بينها وبين المورث الحضاري. وكذلك لفهم معقول للعناصر لدى بعض المجتمعات والتي تقودنا الى فهم هذه الرموز وتفسيره" (عبد الهادي، 1994، ص41).

وإذا ما تخصص حديثنا عن موروث العالمي فهناك الكثير من الطرق والسبل التي استخدمتها بلدان العالم سواء القديم او الحديث لتوثيق واحياء مورثها وذلك ما اشتهرت به الفنون عبر الحرف اليدوية لنقل ووتسويق حضارتها بهدف ترويجي سياحي او عن طريق التجارة او عن طرق وسبل اخرى. لذا يعد الموروث الحضاري هو عنصر من عناصر الثقافة التي تتناقل من جيل إلى آخر. والموروث كلمة مرادفة للثقافة وهي مجموعة عناصر السلوك المكتسب المميزة لأفراد مجتمع ما وشكل ثقافي يتناقل اجتماعياً ويصمد عبر الزمن. والموروث هو الخصائص البشرية العميقة الجذور. أسلوب متميز من أساليب الحياة كما ينعكس في مختلف جوانب الثقافة وربما يمتد خلال فترة زمنية معينة وتظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية العادية ولكنه يتميز طوال تلك الفترة بوحدة أساسية مستمرة من خلال ما يحمل من دلالات ورموز ومعاني. والموروث لا يشمل فقط على ما يقال أو على ما يحكى وإنما يشمل أيضاً على ما يفعل وما يظهر للعيان وليس دور النموذج السلوكي بأقل من دور الكلام فالنموذج جزء متكامل من التراث الشعبي عبارة عن فعل أكثر من قول وهو يكون معاشاً قبل أن يفكر فيه وهذا يفسر كونه عاملاً من عوامل التماسك الإنساني فهو تماسك يعبر عنه من خلال العصور وفي مختلف أساليب الحياة)" (مصطفى، 2014).

وبعد كل هذه المسافة التي قطعها الموروث الحضاري اصبح هناك موروث الى جانبه ويعرف بمفهوم الموروث الثقافي اذ ظهر هذا مفهوم" بداية سنة 1990، بعد التوصيات التي قدمت لليونسكو سنة 1989 حول حماية الثقافات التقليدية، في وقت يتجه التراث العالمي أساساً إلى الجوانب المادية للثقافة" في عام 2001، قامت اليونسكو بالتحقيق لدى الدول والمنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية بهدف تحديد مفهوم التراث اللامادي. وفي سنة 2003 تبنت الدول الأعضاء في اليونسكو إتفاقية لصون او حماية التراث الثقافي وقعت المصادقة عليها في 20 من حزيران 2007 من قبل أكثر من 78 دولة. اذ اصبح الموروث الثقافي يعرف بانه مجموعة من العادات والأعراف يُنظر إليها كسوابق تشكِّل الجزء الأساسيّ المؤثِّر على الحاضر وهو التراث الفكري المتمثل في الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التأريخ كاملة ومبتورة فوصلت الينا بأشخاصها.

لذا يعتبر الموروث الحضاري أحد اهم مقومات بناء المستقبل نظراً لقيمته التاريخية والثقافية التي لا يستهان بها. وترتبط المجتمعات في العصر الحديث بجذورها التاريخية، حيث يمثل الموروث الحضاري من فن واثار وسائل اعلان وجذب سياحي وثقافي كبير. اذ يعد التراث العمراني والتاريخي، أحد اهم الجوانب للموروث الحضاري الذي يعتز به اي بلد او مجتمع لما يبرزه من صور أصيلة جميلة، ولذلك عملت الدول على زيادة الوعي بأهميته كمصدر ثقافي واقتصادي مع امكانية الاعلان عنه وحمايته وإعادة استخدامه ضمن إطار معاصر من خلال وضع الأسس والمعايير التخطيطية والتصميمية التي تسهم في إظهاره قيمته وأهميته في التنمية الاقتصادية والمساهمة في توظيفه ركن أساسي من اركان السياحة. وبما أن الاسلوب التقليدي لصناعة السياحة أصبح فكراً عقيماً وحفظاً للذاكرة الجمعية للمجتمع، كحاجة نفسية وحضارية تضمن الاستمرارية الحضارية. لذا وجب اعتماد الأساليب الحديثة للاعلان عن هذا الموروث الحضاري سواء من اجل تنمية السياحة او الاقتصاد بشكل عام ام من اجل التعريف بتاريخ اي بلد، سواء كان تراثي أوديني أو تاريخي أو طبيعي. لكي نحقق هدف الاعلان وتحقيق الهدف الرئيس، إضافة إلى ابراز أهمية معالم البلد حسب نوعه وتركزه في ذاكرة، وقيم المجتمع كأسلوب للحفاظ على حضارة الشعوب. وتلعب الفنون دوراً كبيراً في استحضار وإحياء تلك القيم وتوظيفها في المشاريع السياحية ونهضوية، لتسهم في إعادة الحياة إلى كل ما من شأنه الإسهام في عمليتي التواصل الحضاري، وجعلها إحدى المنظومات التواصلية في الفنون. التي لم تقتصر على الابداع الفني، بل شملت معظم مجالات الحياة بما في ذلك العمارة وما تحتويه من اثاث وتصميمات البيوت المخصصة للسكن او التصميمات المعمارية الاخرى التي اخذت طابع الموروث لاضفاء الفخامة والاصالة عليها "حيث اخذت بفعل عوامل عديدة، تفرض نفسها على مجتمعات العالم المختلفة لتشكل تحدياً جديداً لها" (محفوظ، 1988، ص31)، باعتبار ان اي موروث سيقع في خانة التسويق الحضاري يعطي عناية خاصة بهيمنة الحدس على الحس وتجسدَ ذلك في التشكيلات المتجسدة بالاصول الانكليزية ـ الشرقية، بتأثير (برنارد ليج) الذي يعد "حلقة الوصل الناقلة بين الثقافة (الشرقية، واوربا...) حينما اثرت طرائق (ليج) في الاجيال الاوربية، والامريكية، فكانت اعماله منجزات بروحية الغرب وذهنية الشرق لتكون اعماله شرقية ـ غربية العائدية" (Lech, 1979, p.15). ولم يقتصر التثاقف الحضاري بين الشرق، واوربا على (ليج) بل تمثل الفكر الشرقي في معظم الاتجاهات الفنية الحديثة سواء كانت تجريدية، او ايقونية ذات نواتج اخراجية مختلفة عن المستدعى منه، كالسريالية، والتعبيرية، والمستقبلية لينقل الموروث الحضاري بشكل تسويقي. وهنا تجب الاشارة الى ان الحضارة العربية وكنوزها من الموروث الحضاري بأشكاله المادية والفكرية والفنية والثقافية المتعددة، والعمل على تسويق هذا الموروث اصبح لازماً وان الفن العربي اتخذ من الموروث العربي كسبيل لها للوصول الى الاخر. ومن اهم الدول التي عملت على التركيز على موروثها الحضاري العراق الى جانب العديد من الأنشطة الثقافية التي تعكس مدى الاهتمام بالموروث العراقي، ومنها المؤتمرات الدولية التي تقيمها منظمة اليونسكو والدول المهتمة بهذا الجانب، وكذلك التوعية بأهمية الموروث وحفظه رقمياً، كالتوسع في تجسيد بعض الموروثات الخاصة بالحرف الشعبية عن طرق الاعمال الفنية و المنحوتات والخزف ولوحات تعرض في متحف يعنى بالموروث العراقي الى جانب المتحف البغدادي.

المبحث الثالث: الخزف العراقي المعاصر بين المرجع والتأسيس

قد لا يختلف اثنان حول تاريخ الخزف في العالم الذي يمتد لآلاف السنين، أن ما جاءت به الحضارة الإنسانية من إبداعات خلاقة تعود إلى العمل المستمر الذي مارسه الإنسان منذ وجوده، فكل ما أنتجه هو مطلب لتلبيت احتياجاته. اذ يعتبر الخزف من أقدم الفنون والحرف التي مارسها الإنسان ففن الخزف من الفنون القديمة وظهر قديمًا في العصر الحجري القديم وكان استخدامه في تلك الفترة انعكاسًا للظروف الاجتماعية والاقتصادية السائدة، ولاحظ الانسان القديم متانة الفخار بالنسبة للطين المجفف، فأخذ يستخدمه" (الطيار، 2008، ص31).

ان ما عزز تطور الخزف، منذ نشأة الإنسان، لفترة ما قبل التاريخ (حوالي29،000 – 10،000 قبل الميلاد)، وحتى تاريخ ولادة الحضارات يعد تنوعاً مفاهيمياً، حيث تتميز كل حضارة عن غيرها من الحضارات بعدة سمات ومميزات خاصة تستطيع أن تحقق بها خصوصية تلك الحضارة، أن اغلب الحضارات لابد وان تكون متأثرة بمرجعيات سواء على مستوى البيئة الثقافية والطبيعية والاجتماعية، فهي مزيج متداخل من موروث متوالد من حضارات عريقة سابقة، وهذا ما استشعرته الباحثة في مضمار بحثها الحالي حيث ستستعرض تاريخ الخزف العراقي وصولاً الى الخزف المعاصر للفنانين العراقيين سواء في خارج العراق او داخله الذي يخص موضوع البحث والذي بدأ منذ الخمسينات. لقد استخدم الإنسان القديم الفخار لإنشاء إناء لتخزين الطعام والماء في حياته الاولى، و ثم تم زخرفته بأشكال بسيطة في العصور الحجرية (حوالي10.000-3.000 قبل الميلاد) فالتطور المبكر في صناعة الخزف حيث بدأ الإنسان في تحسين تقنيات الخزف وجاءهذا مع الانتقال إلى الزراعة وتجمع المجتمعات، فالتقنيات التي استخدمها الانسان الاول الطين المحلي ليصنع أواني متعددة الأغراض، تم حرقها في نار مفتوحة وهو ما سمي بالفرن لاحقاً في العصور القديمة (حوالي3.000-1.000 قبل الميلاد) ويعتبر الاساس الاول لصناعة الخزف. البدايات القديمة كانت في بلاد الرافدين الحضارات القديمة مثل السومريين والبابلين، تم تصنيع خزف لتلبية الاحتياجات اليومية، حيث كان يُزين بالكتابات والنقوش، وان عجلة الخزف اختُرعت هذه التقنية في عام 3500 قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين، وتعتمد هذه الآلية على قوة الطرد المركزي للعجلة حيث ان تاريخ الخزف العراقي يمتد لآلاف السنين، إذ يُعتبر العراق من المراكز التاريخية المهمة في فنون الخزف وهو ما"أفرزته منجزات فنية تعبرعن توجهات المجتمع الفكرية ونوازعه تلتقي عندها الطقوس العبادية والسحرية ليرتقي فيها المنجز بالمضمون على الشكل" (جنان، 1997، ص30).

اذ بدأ إنتاج الخزف في العراق القديم منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد، حيث كانت السلع الفخارية تصنع بطريقة يدوية وتطور فن صناعة الخزف مع مرور الزمن، وتميز العراق خلال العصور المختلفة بأنماط وألوان متعددة ففي فترة الحضارة السومرية كان الخزف يُستخدم لأغراض متعددة، ومن حضارة الى حضارة حتى العصر العباسي فقد شهد الحرفيون تقدمًا كبيرًا في تقنية وديكورات الخزف، حيث تم استخدام الزخارف الهندسية والنباتية. تقنياته المختلفة مثل الفخار والزخرفة بالطين الملونوهي ما اسهمت بشكل كبير في شهرة الخزف العراقي، واستمر هذا الفن بالتطور حتى العصر الحديث، حيث يُعتبر جزءًا مهمًا من التراث الثقافي والفني للعراق يستمر الحرفيون العراقيون في إنتاج الخزف بطرق تقليدية وحديثة تدمج بين التراث والابتكار. فالخزف العراقي المعاصر يتسم بتنوعه وابتكاراته، حيث يجمع بين الأساليب التقليدية والتقنيات الحديثة فالخزف العراقي المعاصر استخدام الأنماط الهندسية التقليدية التي تُعتبر جزءًا من التراث العراقي. وكذلك تميز باستخدام عنصر أللون بشكل عصري ومميز ليعكس الثقافة المحلية والموروث الحضاري"فأننا نجد أن السمة الطاغية لهذا العنصر الحيوي أمر يساعد على نقل الفكرة المراد تحقيقها بواسطة هذا النوع من التعبير الذي يبغي العلاقات بين (لون ولون، خط وخط، وكتلة وكتلة.....الخ)، منسجم وبعيد عن النشاز والتضاد" (عبو، 1982، ص745).

ولا نغفل دور التقنيات المبتكرة وتطور الطبقات والتقنيات المستخدمة في صناعة الخزف، حيث يتم دمج التقنيات الحديثة مع الحرف التقليدية، فضلاً عن التصاميم المستوحاة من التراث والموروث الحضاري اذ اعتمد العديد من الفنانين على تصاميم مستوحاة من التاريخ العراقي، بما في ذلك الرموز السومرية والآشورية. وذلك من خلال ما صنعه الفنانون من قطعًا فنية فريدة تمزج بين الجماليات المعاصرة والوظائف العملية والموروث الحضاري. اذ كان الإبداع في الأشكال وتتنوعها بين الأواني المنزلية والزخرفية بالاضافة الى القطعة الخزفية لابراز الخزف كفن تشكيلي يتجاوز الاستخدام اليومي. فكل ذلك ينتج قراءة في التشكيل العراقي عبر استدعاء جمالي فلسفي واستنطاق التجارب في تاريخها المدني الحضاري في وادي الرافدين لمعالجة الإبداعية الغنية بما تقدمه مضيفة إلى منجز فنانينا بلمسات تشكيلي بارز في المشهد الإبداعي العراقي اذ يعد الخزف العراقي من أجناس الفنون ذات الجذور التاريخية وذات المكانة المميزة بين الأجناس الفنية الأخرى ويعد امتداداً طبيعياً لذلك الإرث الحضاري الفني وللتجربة الجمالية في فن الفخار والخزف منذ الأطوار الحضارية الأولى والذي حمل دلالات في سماته التعبيرية وتعكس فلسفة الحياة ورؤيتها وما وصل إليه الإنسان من فهم اذ تساهم هذه العناصر في تعزيز هوية الخزف العراقي المعاصر وتجعل منه أحد أنواع الفنون التي تُعبر عن الثقافة والهوية العراقية بشكل مبدع ومبتكر. فالنص الخزفي القديم، سيغدو مجالاً لتنفيذ الأفكار، عبر المعالجات الفنية، أو الجمالية، فالخزاف لا يحقق رسالته، عبر القطيعة، بل عبر التحويرات والاختزالات التي تسمح لمفهوم الإنتاج أن يذهب ابعد من السياق المعتاد، نحو الرموز، والإيحاءات، المولدة للمعاني الأكثر تقدما، بل والأكثر صلة بالحداثة ويدفعه الى مستويات متنوعة تمنح (الخزف) مكانته كأثر يستحدث حضوره حاملاً لمشفراته الجمالية، فانه سيشكل وثيقة للحياة، بمرئياتها ومخفياتها معا ليؤكد انه لغة عابرة لحدوده اذ "إن أهم ما يميز فن الخزف المعاصر هو أن فناني الخزف قرروا الخروج عن المألوف والتوجه لصنع قطع فنية خزفية شكلها بعيد عن شكل الأواني، حيث إن فن الخزف القديم كان

دائماً محصوراً بصنع الأواني والأطباق والمزهريات مما أضفى طابعاً من التكرار والرسمة على القطع الفنية، كما اتجه الفنانون إلى إدخال فن الرسم والنحت ودمجه مع القطع الخزفية للتعبير بشكل أوضح وأعمق عن البعد الفني الذي تمثله" (مفتاح، 1994، ص55).

جدلية الشكل والمضمون في تعزيز الاثر الحضاري

أن اي تعبير فني يسلط الضوء على أسرار ومكونات الموضوع الذي يدور في خلد الإنسان، فيقدم على شكل فني يمتلك التعبير ودلالات عديدة يكون من بينها أنه الدلالة الجمالية في العمل الفني وهو الذي يفصح عن العلاقة بين الفنان وموضوعه، وهو الاساس الذي يستند اليه الفنان وأنتاجه الابداعي اذ ان عملية الإبداع الفني مظهر من مظاهر تحكم الفنان بوسائطه أن يتعامل وجدانياً مع الموضوع ومضمونه. فان الشكل والمضمون في العمل الفني هو محصلة تفاعل مستدام،فلا تعبير دون ما هو فكري ودلالي ومضمون، وان التعبير في العمل الفني مجموعة من التعبيرات تقترن بعناصر العمل الفني إذ أن "العمل الفني هو انعكاس معادل للمضمون المراد إيصاله على اعتبار أن الفنان لابد أن يضمن عمله مضموناً يود نشره في العمل الفني وهي حاله يحددها الفنان من خلال التعبير. فمثلاً عملية التعبير في اللون أو الخط أو الحركة وغيرها من العناصر،حيث تكون مهمة الفنان جمع هذه التعبيرات في وحدة كاملة هدفها خلق تعبير واحد في العمل الفني أوسع من تعبيرات العناصر لو كانت منفصلة على الرغم من دلالاتها التعبيرية" (زكريا، 1977، ص36). ولذلك وبتأمل بسيط لاي عمل فني يمكن أيجاد اتجاهات الشكل ومن ثم المعنى التأسيسي الذي كونه. وهنا تجب الاشارة الى ان للشكل مرجعيات كان تكون دينية أو أخلاقية أو اجتماعية أو نفسية وبالتالي فمن الضروري أدراك الموضوع أو الشيء الذي ينصب عليه من الذوات والأحداث والوضعيات سواء كانت من الواقعاو الموروث أو من المتخيل أو الرمزي "معنى هذا أن الفن وسماته لا تكون ذات قيمة دلالية معبرة ألا أذا أمكن تحويلها وإرجاعها نحو شكل ما" (خرماش، 1998، ص11).

وبما ان الفن مطلق التأويل والجمال مركزه وان جمال اي عمل فني يكون محكوم بقوانين تناظره وتوازنه وتماسكه بل يمكن القول أن هذه القوانين مضمرة في الشكل الذي يتلبس المضمون ولا يحويه "فعلاقة الشكل بالمضمون علاقة نسيجية وليست وعائية وإذا ما افترضنا أن باستطاعتنا أخراج نسيج الشكل وعناصره (الخط،واللون، والملمس، الكتلة، الفضاء... الخ) من هذه العلاقة فأننا نحكم على العمل الفني بالفشل (مفتاح، 1994، ص 55). لذا فأن العلاقة بين هذه العناصر تكون محكومة بضرورات مهمة وحيوية لا تحدد وحداتها الآمن خلال تركيب " يكشف علاقاتها الدالة في اللغة الفنية داخل نسيج العمل الفني نفسه ومن خلال أسلوب التعبير الذي يعتمده الفنان، ذلك أن العمل الفني يستند إلى حوار وقيم ويقع على عاتقه التعبير عن رؤية تخضع لمعايير واعية أو غير واعية يجسدها الفنان لتشكيل سماته الأسلوبية الخاصة ويصبح العمل الفني بجملته شاهدا عليها" (مونرو، 1971، ص 106).

فضلا عن ذلك فأن ظهور بعض السمات الجمالية في العمل الفني تكون موضع إطراء وتبدو للعين غير المدربة أكثر السمات بروزاً وهذا يعني أنها طرق غير عادية لتنويع أسلوب معالجة هذه العناصر أو لإعطاء العمل الفني لمسة ذات انفرادة واصالة أو لتحقيق نماذج جديد. فإذا ما أراد الفنان أن يبرز في عمله الفني نزعة الانسجام (الهارموني) كعامل جمالي عالي المستوى يقودنا إلى معاني وخفايا شخصية التي يريد تجسيدها وهناك من يعتمد أسلوب البناء التكويني والتعبير الإنشائي كسمة أساسية للتعبير عن الموضوع، خصوصاً بالمواضيع التي تتعلق بالموروث الحضاري " وإزاء ذلك فأنه يستخدم الخطوط الحادة القوية في معالجة الكتل أو رسم الأشكال على هيئة تكوينات هندسية أو ما يشابهها من الكتل الصريحة المتكافئة والموزعة توزيع يتفق مع الفكرة والهدف ليوثر بواسطتها على المتلقين "وقد يتشابه أسلوبان تعبيريان من ناحية معينة كأن يتضمن عملان فنيان سطوحا وخطوطا منحنية وألوان متباينة، فلابد هنا من التفريق بينهما من حيث الدرجة أو الكمية أو من خلال أي اختلاف بسيط أخر، وربما يكون هذا الاختلاف في طريقة الجمع بين هذا الخطوط أو الألوان والسطوح، والكتل وغيرها" (مونرو، 1971، ص108).

لقد " كان الإنسان القديم يستعمل الآنية كأداء وظيفي في حين صار وبالمفهوم المعاصر يتعامل مع الخزاف باعتباره فنا خالصاً" (البسيوني، 1986، ص12). إذ أصبح الخزاف المعاصر يعي تماماً العلاقات الجمالية بين عناصر عمله الفني الخزفي وكذلك آلية عمل هذه العناصر لتحقيق رؤيته التعبيرية التي تعطي انطباعاً لدى المتلقي فسواء كانت الفكرة التي يبدأ العمل بها تتضمن موضوعاً حراً أو رمزياً فأنه الخزاف المبدع وحين يبدأ في "عمله على كتلة الطين يعي تماماً بأن نتائج عملة ستؤدي في النهاية إلى تحقيق مساحات وأشكال فنية تحمل دلالات تعبيرية ومن هنا نستطيع القول إن عنصر الشكل قد تحقق في العمل الخزفي من خلال الطريقة التي تتخذ بها العناصر موضعها في التكوين الفني كل بالنسبة للآخر والطريقة التي يؤثر بها كل منها في الآخر مع تنظيم الدلالات التعبيرية والحسية لهذا الناتج بحيث يسهم كل عنصر بدورة في أغناء الشكل بإيحائية ترميزه" (البسيوني، 1986، ص293). اذ ان التكوينات الخزفية متنوعة الأشكال قد تكون إشكال فنية خزفية مهتمة بمضامين إنسانية عبر مزاوجة النحت واللون على السطوح الخزفية يرتقي لاستخدام الصفة الجمالية في إيجاد الكيان الخزفي عبر موضوع من الموروث الحضاري ليتحول الى نتاج يتسع ليصل بابداعه الى المتلقي لتامل الماضي عبر المنجز الخزفي المعاصر، واذا لم يكن الفنان إلا كغيره من الخزافين ذو التوجه المعاصر فأنه يبرز آلية واضحة الرؤى بالتعامل مع الخامة فيجسد موضوع الموروث الحضاري عبر نتاجه الفني ليوصله بالتالي للمتلقي.

وان التكوينات الخزفية متنوعة الأشكال منها ما يتخذ النحت الخزفي او الشكل ألجداري أو الآنية الى مالا نهاية من الأشكال (المنتظم او الحرة)، اذ يتوقف ذلك على اسلوب الخزاف وكيفية استلهامه لأفكاره وموضوعاته والتعبير عنها بشكل جديد قد يكون مألوف أو غير مألوف في العمل الخزفي وهو مكمل لبنائية العمل وقوة الفعل الدلالي الذي يريد الفنان ان يؤكد من خلاله على إمكانية الارتقاء بالنصوص الخزفية إلى مستوى

العمل الفني المحمل بالمعاني والسمات التعبيرية الحرة عن الموروث الحضاري فالموضوع الواحد يقدم تأثيرات مختلفة، فالفنان يسخر كل شيء لفنه بقدراته الخلاقة وابداعه العالي ويجعل له حرية كاملة ينطلق عبرها ليعبر عن فن له تأثير ومميزات خاصة وأهداف وغايات إنسانية تعكس تلك القيم الجمالية العميقة التي يزخر بها المجتمع، فقد يقدم الخزاف شكلاً من الطبيعة (البيئة) يجعل المتلقي يقف وينظر وينفعل تجاه الموضوع الذي يطرحه بشكل مباشر وصريح، بينما يقوم أخر بتغير النسب الحقيقية للموضوع ناقلاً، للمشاهد انطباع الفنان وإحساسه، ويعمل آخر على ان يبدأ (شكلاً طبيعياً) لكنه يغير معالمه بحيث ينقله كلياً من الأصل الطبيعي محوراً بشكل كلي المعالم الأصلية للشكل النموذج وهذا يمثل تحدياً للفنان فعليه ان يوقف المتلقي أمام العمل الخزفي مستوعباً انتباهه الى فنية الأشكال التي أنجزها وأدراك المعنى يصبح شيء غير ذي أهمية إذ ان بعض الخزافين قد يبحثون في أشكالهم عن جمال مطلق غير مرتبط بمعنى محدد" (Ravoslav, 1980, p.293). وقد يقدم الخزاف إعمال خزفية ذات إشكال منتظمة هندسياً تحمل سمات خاصة متفق عليها كالشكل المكعب، أو الكروي، وغيرها أو ان يزاوج الخزاف بين أشكالاً مختلفة منها للحصول على أشكال جديدة برؤيا جديدة متناسب ومنسجم مع الهيئة الجمالية في العمل الخزفي من خلال البعد التعبيري الذي تحقق من خلال رؤية الخزاف الذاتية وحساسيته الجمالية والمعالجة اللونية والملمسية للكتلة الفنية حيث ان للقيمة التصميمية في العمل الفني دوراً مهماً كبيراً في تحقيق القيمة التعبيرية للموروث الحضاري.

المؤشرات التي أسفر عنها الإطار النظري:

1. لمفهوم التسويق جدلية في تعزيز الاعلان عن الاثر وتداعيات الوعي الجمعي وروح المواطنة اذا تم توظيفه بطريقة عملية رصينة لايصال الهدف المنظور في صناعة الاعلان الى المتلقي.
2. الخطاب الدلالي هو ليس مجرد وسيلة، فهو جزء من مرحلة التواصل مع المستهدفين، اذ يتم تصميم وحدات اعلانية بناءً على المعلومات التي يتم جمعها في أولى مراحل التسويق.
3. امكانية توظيف المؤتمرات الدولية التي للتعريف بالموروث الحضاري وكذلك التوعية بأهمية الموروث وحفظه رقمياً، كالتوسع في تجسيد بعض الموروثات الخاصة عبر فن الخزف والفنون الاخرى.
4. الموروث الحضاري العراقي هو شكل ثقافي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفكر ابناءه وتتناقله الاجيال اجتماعياً وهو ما عبر عنه الفنان الخزفي المعاصر بما يستوحيه من خياله المرتبط بموروثه الحضاري.
5. بين الموروث والاساليب الحديثة والمعاصرة فاصالة الجذور القديمة بثت اشكالها على الرغم من تغير الزمن وهو ما يعرف الربط بين الماضي والحاضر عبر منجز فني متخيل.
6. لم يحدث الموروث الحضاري فارق بين الثقافية العالية والثقافة الشعبية فقد انمحى الفارق تماماً في الخطاب الفني وأصبح النتاج الفني موجهاً نحو نمط مهم وهو التسأول عن اصل الموروث بعتباره لغة ذات دلالة تعبيرية كبيرة.

الفصل الثالث (اجراءات البحث)

مجتمع البحث الاصلي: قامت الباحثة باجراء وبجهود ذاتية بدراسة استطلاعية للمنجزات الفنية الخزفية المعاصرة للفنانين العراقيين، وتم التواصل مع بعض الفنانين عبر وسائل الاتصال الالكترونية والحصول على مقابلات شخصية وصور خاصة بالمنجز الخزفي لعينات المختارة وكذلك الصور المنشورة في ادلة المعارض و المجلات الفنية ومواقع الانترنت والارشيف الخاص ببعض الفنانين. والتي من خلالها توصلت الباحثة الى تحديد مجتمع البحث من المنجزات الخزفية المعاصرة في للفنانين العراقين داخل وخارج العراق، ضمن الفترة المحددة للبحث ولعدد من الخزافين.

عينة البحث: تم اختيار عينة البحث بصورة قصدية من مجمل الاعمال الخزفية المعاصرة المنجزة والتي ضمت تكويناتها الموروث الحضاري العراقي مجتمع البحث، وعليه تم حصر العينة المنتقاة للفنانين الخزافين العراقيين (ثامر الخفاجي، حيدر رؤوف، تركي حسين).

تحليل العينة:

العينة رقم (1)

اسم الفنان: ثامر الخفاجي

اسم العمل: صحن

قطر الاعمال: 40سم

تاريخ الانتاج: 2024

صحن يمثل تنوع أجناس التشكيل البنائي المكثف باستخدام الموروث الحضاري في أعمال الخزاف المعاصرة التي ملئت كثافة في العناصر والرموز للدلالة على الموروث الحضاري لبلاد الرافدين من خلال استخدام اللون والاشكال الهندسية والرموز والحروف وبناء التصميم الزخرفي والتنسيق بالاضافة الى ملئ الفضاءات بصورة متقنة مما يضيف احساساً وتذوقاً جمالياً.

المنجز الفني للعمل جعل الشكل بمحمولاته يسلك سلوكاً جمالياً متخلصاً من عقدة الوظيفة بالاضافة الى الكثافة في العناصر البنائية وهذا ما جعل العمل (الصحن) متحرر تماماً من وظيفته على الرغم من الاشتراطات النفسية للشكل العام للبناء مع الاخذ بنظر الاعتبار الخصائص الفنية من خلال الموازنة والانسجام لاظهار البناء الشكلي ليحتوي المضمون.

ان العمل الفني المنجز اخذ مكانه في دائرة الجمال، اذ يحاول المنجز الخزفي له أن يقرأ وفق مساحات جديدة مكونة تنتج المعنى، فعملية الدلالة موجهة داخل العمل المنجز، وتخضع لدلالات تصدر إلى المتلقي لفهم المعنى من خلال ما يحتويه المنجز من كثافة بالعناصر وطريقة البناء المتفردة وهذا ما يشكل الدلالة التي تصب في قراءة نص المنجز الخزفي من حيث إنتاج المعنى، فتظافر العناصر وتظيفها ضمن البناء الفني باعتمادها على الخصائص الفنية التي تؤدي إلى الإيحاء وبدوره يؤدي إلى التأويل وان هذا التتابع هو احد المعطيات الذي توفر لدى المتلقي عند قراءته للمنجز مساحة من الفهم لمضمون المنجز ككل. بحيث تكون للفنان الخزاف أدواته التي تمكنه وهي ليست الخامات فحسب وإنما هناك أدوات مولدة يستخدمها بفعل دلالات يمكن تكثيفها لاقتراح تأويلات مجددة من خلال احداث توازن مابين الموروث والمعاصر للوصول إلى معان للنص أحدثتها دلالة المنجز الخزفي.

استخدم الخزاف مجموعة متنوعة من الألوان الزاهية واهمها اللون الازرق والسمائي التي تضفي حيوية وجاذبية على القطع الفنية لكونها الوان غنية بالعمق والارث الحضاري واستخدام الموائمة والموازنة في البناء الشكلي واللوني وهذا ما نراها من خلال تزاوج اللونين التي هي من الارث الحضاري لوادي الرافدين ومن خلال استخدام اللون (الأزرق) وتدرجاته حيث كان يعتقد ان هذا اللون يرمز الى السماء العليا ما يعزز من مكانة عشتار كالهة رئيسية في الديانة البابلية.. وهنا نلاحظ في هيمنة قوة اللون الازرق وتدرجاته. ويعادل هذه الهيمنة من خلال تنويع ملمس السطح الخزفي فشكل الصحن الدائري معالج بالتوافق والمعادلة ما بين مهيمنتين اللون والتكثيف ليضفي على التكوين قوة تركيبية داخل تصميم المنجز.

في العمل خاصية تفعيل للخطاب التعبيري بصورة اشمل فأرضية العمل مبنية على وفق نظام اللوحة التشكيلية الذي ينتمي إلى تفعيل طاقة الشكل التعبيرية وبأسلوب متفرد.

يوجد رسم على شكل طابوق مبني ببناء مستقيم مستوحى من شكل الطابوق على بوابة عشتار وملون باللون الازق دلالة تعبيرية على ماكان، يتوسطه رسمة لحيوان رمزي لقوى الالهة البابلية باللون الالصفر وتحيط به زخارف من زهرة البابونج باللونين الابيض والاصفر وهي رمز اشوري ورمز الربيع وعلامة الانتصار موزعة على قطر العمل ككل وبشكل متساوي وبطريقة التقابل زهرة وتقابلها نصف زهرة، وهناك شريط متقطع من ثلاث الوان (اصفر -ابيض - اسود) يحيط برسمة الزهرة ويحيط بالصحن بالكامل.

شكل العمل بعداً دلالياً اعلانياً، بوصفه يحمل موضوعا ذو طابع حضاري تم توظيفه بطريقة فنية يمكن الاعلان من خلالها، ويمكن اعتباره رمزا حضاريا يحمل طابعا لتراث البلاد ودلالته التعبيرية تحمل السحر والتألق والبراعة والابداع الأمر الذي يجعل استثمارها منطلقاً في كل عمل ابداعي مسألة في غاية الأهمية. ويتثمل التعبير الدلالي الاعلاني في الجوانب التقنية والمهارية الأكاديمية من خلال خلق تزاوج بين كل هذه الجوانب وبين المواد الخام المستخدمة في المنجز الخزفي سواء ببساطتها او خروجاً عن المألوف وبعيداً عن أطر النصوص المعقدة فاصبح التوائم والمزاوجة بين الماضي والمعاصره والحضارية المحلية والشعبية اداة اعلانية تسهم في التعريف بالارث الحضاري من خلال توظيفها بالمنجز الخزفي المعاصر.

العينة رقم (2)

اسم الفنان: حيدر رؤوف

اسم العمل: جرة

حجم العمل: 30 سم

تاريخ الانتاج: 2022

هذه القطعة يغلب عليها اللونين الفيروزي والأزرق، وسط الجرة كروي الشكل ذات طول وعنقها أسطواني مزوّدة بعروتين زيّنت كل عروة برسم زخرفي لشكل الشمس صغيرة بلون أصفر عاجي وللجرّة شفة مائلة قليلاً نحو الخارج من فتحتها، ولها قاعدة دائرية صغيرة، قوام زخرفتها شكل مشبك بلون الأزرق ترمز إلى شبك صيد الأسماك وخطوط ترمز للرياح في الأعلى وخطوط في الأسفل ترمز إلى الأمواج دائرية متداخلة شغل سطحها كذلك برسم النخلة وهي الشجرة المقدسة في حضارة وادي الرافدين وان كل محتوى الرسوم والألوان ترمز إلى التراث الحضاري، بالإضافة إلى نطاقات حزية مزينة بزخارف وخطوط تقسم الحزوز إلى إشكال مثلثة وهندسية متعاكسة ولها قاعدة دائرية بالون الأزرق مع قاعدتها السفلية.

وبشكل عام تمثل الجرتان تنوع تشكيل البنائي باستخدام الموروث الحضاري في أعمال الفنان حيدر رؤوف المعاصرة الذي استخدم كثافة في عنصري الرمز واللون للدلالة على الموروث الحضاري لبلاد الرافدين من خلال استخدام اللون الأزرق والفيروزي والإشكال الهندسية والرموز والكتابة السومرية والنخلة بصورة متقنة مما يضيف إحساساً إبداعياً وتذوقاً جمالياً لدى المتلقي.

لقد شكلت الإعمال شكل فني إلى جانب أنها مشاريع تهدف إلى تعزيز الفنون والحرف اليدوية في العراق، مما يسهم في تطوير المجتمع المحلي وإن تحديد الأبعاد الجمالية للموروث الحضاري وطريقة التعاطي إنما هي تحديد موضوعات هامة لها علاقة بالمجتمع، إذ يمكن أن يكون العمل الفني ذا قيمة تعبيرية مؤثرة يمكن من خلال توظيف الموروث بطريقة إبداعية إعلانية تفيد في تسويق هذا الموروث عبر منجز فني خزفي، وهنا تجب الإشارة إلى التميز بالحركة التشكيلية المعاصرة في العراق بإيجاد معادلة ذاتية وموضوعية نحو مفاهيم الموروث والمعاصرة على وفق رؤية فنية تشكيلية تمتاز بحضور فني ابداعي متألق يستمد إشكاله من الموروث الحضاري العراقي، واعتماده كأساس لبناء فن محلي ذو خصوصية فنية معاصرة ترتبط بالمكان وبالذاكرة الجمعية للفرد العراقي. فأصبح التوائم والمزاوجة بين الماضي أداة إعلانية تسهم في التعريف بالارث الحضاري من خلال توظيفها بالمنجز الخزفي الإبداعي المعاصر وكذلك التفاعل مع المجتمع الذي يمكن من خلال المشاركة في ورش عمل ومشاريع تعليمية، مما يساعد على نشر فن الخزف وتعليم المهارات الجديدة للفنانين الناشئين وتأطيرها بالإرث الحضاري سواء كانت هذه الورش داخلي أو خارجية.

العينة رقم (3)

اسم الفنان: تركي حسين

اسم العمل: صحن

تاريخ العمل:2012

ابعاد العمل: قطر 20سم

اعتمد الخطوط المتقاطعة باللون الاسود محددة باللون الاصفر القريب الى الذهبي وكذلك اللون الطاغي على شكل وتكوين العمل هو اللون الاخضر الشذري لكونه لوان غني بالعمق والارث الحضاري وكذلك استخدام الموائمة والموازنة في البناء الشكلي لتقاطعات الخطوط التي هي اشبه بالاحراز وهذا ما نراها من خلال تزاوج اغلب اعماله بالالوان التي هي من الارث الحضاري لوادي الرافدين. استلهم الفنان العديد من تصاميمه للشكل الخارجي من التراث العراقي، مما يعكس الثقافة والتاريخ ففي وعينا وادراكنا للشكل لايفتقد ذلك السلوك والموقف الاساسيان ازاء الانسان وحاجته كما يعتقد الكثيرون بان هنالك تناقض دراماتيكي بين بنية التشكيل التلقائية وبين - الوصفة - الاجتماعية ورتابة الصفات المعاصرة، لا بل ان الفنان الخزاف العراقي المعاصر اوجد له مساحة دون التقيد عندئذ يمكن ان تكون الفنون الطينية ومنها الخزف بمنئى عن هذه المتطلبات المقيدة والتي تحد من التلاعب في الصيغ التشكيلية في صناعة المنجز الخزفي لذا نجد ان الخزاف ترك التفسير والقراءة

التشكيلية الى المتلقي، لذا نشاهد ان اغلب اعمال الفنان مرتبطة بمعطيات البيئة وهذا يعود لارتباط الإنسان بالأرض وجذوره الاصيلة مما ينشأ قيمة متعددة يعبر بها وفق مضمون جوهري وفعلي لكل مكونات البيئة الطبيعية. ان ادخال التزيين اللوني واعتمد الخطوط المتشابكة وكثافة الرموز اللونية كان بمثابة منح المنجز قيمة جمالية ابداعية في مجال التحول الوظيفي ولكن معطيات التحول العالي في اطار المعاصرة التي تبحث عن اجابات جديدة للخيال او التامل.

استخدام الألوان الطبيعية يعتمد تركي حسين على الألوان المستمدة من الطبيعة حاله حال باقي الخزافيين مما يعطي أعماله جمالية خاصة وان هذا التجاور للالوان هو احد العلامات المضافة الى التنظيم الذي ازال التعقيد لهيكلة العمل جاور الفضاء في موضوع العينتين من خلال طغيان اللون وبروزه وان هذا النوع من التحرر في تشكليل هوية العمل ناتج بفعل تجاور الانظمة الشكلية وتداخل انماط التركيب للخامات في التكوين الالوان مما يمنح أعماله جمالية بصرية تحاكي ماهية العمل.

الدلالة التعبيرية:

لقد بدأ الفن المعاصر يتوصل الى الطاقة الكامنة خلف الاشكال الحرفية والخطوط والالوان وما لها من مزايا خفية فاخذها واعد صياغة تركيبها مرة اخرى على وفق معايير مغايرة وجديدة وبذلك يمنحها فكراً وروحية مختلفة اغنت بذلك الشكل الفني بقالب تكويني جديد، وبهذا فالمتلقي لا يستطيع قراءتها اوفهم المقصود لعدم وجود معنى واضح لها، او لكون رسوماتها متباينة ومتناهي في الصغر وكذلك احرفها صغيرة جداً او لانها عبارة عن احرف او خطوط متشابكة مرتبة او غير مرتبة فحسب وعليه فالحروف والكلمات تحققت في النتاجات الفنية بتحقق نوعا من الحركة الذهنية المقصودة التي تضيف متداعيات حول المضمون الروحي والحضاري للاشكال والالوان والخطوط والاحرف وكلماتها المتشابكة او المبعثرة او المتراكبة كان تكون نسيج يعبر عن مضمون العمل باسقاطات يمكن للبمتلقي اعتادة قراءتها ولو بعد حين من خلال تفعيل طاقة الشكل التعبيرية وبأسلوب متفرد للوصول الى المضمون والمعنى الذي يستهدفه الفنان من خلال منجزه الخزفي وهو بذلك يزاوج ما بين الارث والمعاصرة.

النتائج:

ظهر من خلال الإطار النظري وتحليل العينات أن امكانية الاعلان عن الموروث الحضاري في المنجز الخزفي (العراق انموذجاً) باعتمد المنطلقات التالية وتشكل تلك المنطلقات خصائص الاعلان عن الموروث الحضاري:

اولاً: امكانية التوظيف الدلالي للموروث الحضاري كاعلان لدى الفنان ثامر الخفاجي:

1. الدلالة التعبيرية تحمل السحر والتألق والبراعة والابداع الأمر الذي يجعل استثمارها منطلقاً في كل عمل إبداعي مسألة في غاية الأهمية وبذلك يمكن الاعلان عن الموروث الحضاري.
2. يعتمد توظيف الارث الحضاري وتعزيز الهوية الثقافية والفنية للعراق على امكانية التسويق من خلال المعارض والورش التعريفية وكذلك الاعمال الابداعية الخزفية المعاصرة التي تتخذ من الارث الحضاري مادة لها.

ثانياً: امكانية التوظيف الدلالي للموروث الحضاري كاعلان لدى الفنان حيدر رؤوف:

1. يمكن تحقيق الاعلان والتسويق من خلال تفعيل القوة التعبيرية والجمالية وفعل الاحساس التي بدورها تجعل من العمل الخزفي متحرراً تماماً من خاصية النفعية والمادية ومن ثم تاكيد سلطة وهيمنة الجمال على حساب النفعية والوظيفية والمادية.
2. يمكن ان يساهم الاعلان عن تسويق قدرة الفنان العراقي على معاصرة التشكيل الفني وصياغاته الجديدة في عالم الفن.
3. يمكن ان يحقق الاعلان الجذب من خلال الشكل إذ تتناغم الألوان والرموز المكثفة، ممثلة بقوام التحول في الشكل الخزفي العراقي المعاصر ما بين الوظيفة والجمال.

ثالثاً: امكانية التوظيف الدلالي للموروث الحضاري كاعلان لدى الفنان تركي حسين

1. يعمل الخزاف العراقي المعاصر على تحقيق التحول في الشكل لحساب الوظيفة الجمالية وليست الوظيفة الاستعمالية للخزف وهو ما يمكن ان يحقق التسويق والاعلان.
2. يعد الموروث الحضاري او الشعبي (الفلكلور) مرجعاً فعالاً في استنباط الاشكال والرموز والالوان في العمل الخزفي المعاصر ويمكن من خلاله التسويق والاعلان والتواصل مع المتلقي.

الاستنتاجات:

1. الارث الحضاري مادة غنية يمكن للفنان عموما وللخزاف بشكل خاص ان يوظفها بصورة تسويقية لمنجزه الفني.

2. احتوى فن الخزف العراقي تراثاً ثراً وموروث حضارياً كبيراً بسبب مرور العراق بحضارات عدة نشأة على ارض وادي الرافدين من الحضارات الاولى ومن بعدها العربية والاسلامية بمختلف فتراتها التي احتوت على الكثير من المواضيع التي يمكن الاعتماد عليها في الاعلان والتسويق.
3. اعتمد الخزافين العراقيين المعاصرين على الارث الحضاري عموما كأداة لأيصال الفكرة المركبة واعتبارها وسيلة للتعبير عن الافكار الفنية المعاصرة لارسالها كثيمة الى المتلقي.
4. اعتمد المنجز الخزفي العراقي على خصوصية مجموعة كبيرة من المواضيع التي تشكل الارث الحضاري ووسمت اغلب الاعمال بخاصية تراثية ترتبط بالتاريخ وبالحدث مما حقق فكرة الصدق الفني للمنجز.

المصادر والمراجع

إبراهيم زكريا. (1977). *مشكله الفن، مشكلات فلسفية*. القاهرة: دار الطباعة الحديثة.

آر. أج ويلنسكي. (1982). *دراسة الفن*. (يوسف داود عبدالقادر، المترجمون) بعداد: دائرة الفنون التشكيلية، دار الحرية للطباعة.

أسماء محمد مصطفى. (14 1, 2014). *الموروث الثقافي المادي وغير المادي للعراق وأهمية حمايته / الماضي يحاور الحاضر عن المستقبل*. تم الاسترداد من https://www.azzaman.com.

تومس مونرو. (1971). *التطور في الفن*. (علي أبو ريان، المترجمون) القاهرة: الهيئة المصرية للنشر.

حمد احمد جنان. (1997). *تطور الأسلوب في أعمال فائق حسن*. بغداد: جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة قسم الفنون التشكيلية، رسالة ماجستير.

زكي نجيب محمود. (ب.ت). *الشرق الفنان*. القاهرة: مشروع النشر المشترك دار افاق عربية، الهيئة المصرية للكتاب.

شاكر حسن ال سعيد. (1988). *الاصول الحضارية والجمالية للخط العربي*. بغداد: دار الشؤن الثقافية العامة.

عبد الرحمن عبد الهادي. (1994). *سحر الرمز ؛ مختارات في الرمزية واالسطورة*. سوريا: دار الحواء للنشر والتوزيع.

فرج عبو. (1982). *علم عناصر الفن*. ايطاليا: دار دلفين للنشر.

محمد البسيوني. (1986). *أسرار الفن التشكيلي*. القاهرة: عالم الكتاب.

محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي. (1979). *مختار الصحاح*. بيروت: دار الكتاب العربي.

محمد خرماش. (1998). *الخطاب وتمثيله الواقع الخارجي*. عمان: مجلة أفكار، العدد 131.

محمد شعلان الطيار. (2008). *الفخار القديم والخزف: نشأته, تطوره, تقانات تصنيعه*. دمشق: منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب.

محمد محفوظ. (1988). *الاسلام والغرب وحوار المستقبل*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

محمد مفتاح. (1994). *التلقي والتأويل*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

محمود علي مكي. (1990). *حول التراث وآفاق الرؤية*. بغداد: مجلة آفاق عربية، العدد 16.

يوسف محمد عبد الله. (ب.ت). *الحفاظ على الموروث الثقافي الحضاري وسبل تنميته*. اليمن: جامعة صنعاء.

Lech, B. (1979). *Apotter.* London: Book faber and faber.

Ravoslav, R. (1980). *Ceramic techniques.* London: polygraffia.